إلى العمل – في مواجهة معاداة السامية! #2

معاداة السامية في جحر الأرنب: عن سرديات المؤامرة

في ربيع عام 2025، أُقيمت ضمن مشروع "Connect – التنوّع عبر المشاركة" سلسلة فعاليات عبر الإنترنت لدى DGB-Bildungswerk Thüringen e.V (مؤسسة التعليم التابعة لاتحاد نقابات العمال الألماني في تورينغن). وقد جرى تدوين محاضرات هذه السلسلة ونشرها بعدة لغات.
وبما أن المحاضرة حول معاداة السامية وروايات المؤامرة اضطرّت للأسف إلى الإلغاء، يستند هذا النص إلى معلومات صادرة عن مؤسسة Amadeu-Antonio-Stiftung (أماديو-أنتونيو). يمكن الاطلاع على مزيد من المعلومات عبر:
www.amadeu-antonio-stiftung.de/publikationen/

هناك العديد من سرديات المؤامرة – وتكاد تكون جميعها تتضمن رموز معادية للسامية. لكن لماذا يحدث ذلك، حتى عندما لا يبدو للوهلة الأولى أن الأمر يتعلق باليهود؟ يقدِّم النص التالي إجابات ويوضح أن هذا التداخل ليس مصادفة. فمعاداة السامية وروايات المؤامرة مترابطتان تاريخيًا وهيكليًا ووظيفيًا. وهذا يعني أن مسارهما التاريخي متداخل، وأن بنيتهما المعرفية متقاربة، وأنهما يلبّيان وظائف اجتماعية مشتركة.

سرديات المؤامرة ومعاداة السامية – الشرح والتطور

يُستخدم غالبًا مصطلح "نظرية المؤامرة". ويُقصد به الفكرة المختلَقة التي ترى أن أحداثًا اجتماعية معيَّنة في الماضي والحاضر (أو حتى جميعها، أي تاريخنا بأكمله) هي نتاج مؤامرة: حيث يُدَّعى أن مجموعة معيَّنة تحرِّك الخيوط من وراء الستار وتنفِّذ خطة سرية. وبما أن هذه روايات متخيَّلة لا علاقة لها أو بالكاد لها علاقة بالواقع، وليست نظريات بالمعنى العلمي، يُستخدم في هذا النص مصطلح سردية المؤامرة. (وعندما يغوص الناس تدريجيًا في تصديق سرديات المؤامرة أكبر فأكبر – مثل متابعة الروابط بلا نهاية على الإنترنت – يُقال إنهم سقطوا "في جحر الأرنب".)

معاداة السامية هي طريقة محددة في النظر إلى اليهود، وقد يتجلى في صورة كراهية لهم أو لمؤسسات وهيئات يهودية. ولطالما تضمنت العداوة الاجتماعية تجاه اليهود فكرة أن لهم، كجماعة، مخططات خفية شريرة. وهنا يتضح بالفعل وجود تداخل جوهري مع سرديات المؤامرة، حيث تُنسَب مسؤولية أحداث معيّنة أو بُنى اجتماعية كاملة إلى مجموعة متخيَّلة.

على أقل تقدير منذ أواخر العصور الوسطى، انتشرت سرديات المؤامرة عن "اليهود" في المجتمعات الأوروبية ذات الغالبية المسيحية. وقد نشأ الدين المسيحي تاريخيًا في الشرق الأوسط بوصفه انشقاقًا عن

اليهودية؛ وبالتالي يتشارك الدينان جذورًا مشتركة، وكانا يتنافسان على أتباعهما. ولإقناع الناس بتفضيل الدين المسيحي الجديد، كان لا بد من إيجاد سبب يجعل اليهودية، التي كانت واسعة الانتشار آنذاك، ديانة سيئة. ومع انتشار العقيدة المسيحية، أصبح اليهود أقلية مرئية، وُجِّهت ضدها اتهامات متكررة. واتُّهموا بأنهم يسعون لإلحاق الضرر بالمجتمع أو حتى تدميره عبر طقوس سرية أو أعمال إجرامية. وهكذا تكرّر عبر التاريخ اتهام "اليهود" بأنهم يسمّمون الآبار ويتسببون في أمراض لا تفسير لها. وقد مهّدت التفسيرات الدينية الطريق لهذه الأساطير: إذ زُعم أن اليهود مسؤولون عن قتل المسيح، وأنهم يحاولون منذ ذلك الوقت تكرار الفعل بصورة رمزية. ويُعتبرون عملاء ضدّ المسيح، ومن ثمّ يُنسب إليهم أنهم مدفوعون بالشر. وقد أدّى هذا التصور منذ القدم إلى الإقصاء والعنف والمذابح المعادية للسامية.

إذا وردت في النص كلمة "اليهودي" / "اليهود" بين علامتي تنصيص، فإنها لا تشير إلى يهود حقيقيين، بل إلى الصورة المعادية للسامية عنهم.

كلمة "Pogrom/البوغروم" أي المذبحة، تُشير إلى هجمات عنيفة جماعية تنفّذها الأغلبية ضدّ الأقليات، مع امتناع متعمد من الدولة أو السلطات الأخرى عن التدخل. وغالبًا ما يُستخدم المصطلح لوصف الاعتداءات على اليهود.

على مدى قرون من الزمن، شكلت الاتهامات الفردية أسطورة "المؤامرة العالمية اليهودية". بدءًا من القرن الثامن عشر، تحوّلت المزاعم حول نوايا المؤامرة المنسوبة إلى اليهود بعيدًا عن الدوافع الدينية البحتة. وفي أعقاب التحولات الاجتماعية الكبرى مثل الثورة الفرنسية أو التحول الصناعي، ظهرت أيضًا سرديات مؤامرة جديدة، مثل تلك المتعلقة بجماعات سرية كالإلوميناتي والماسونيين، أو المتعلقة بالاشتراكيين. غير أن هذه القصص نُسبت هي الأخرى إلى "اليهود". ونجم عن ذلك ظهور شكل عنصري من معاداة السامية. ولم يعد يُنظر إلى اليهود بوصفهم أتباع ديانة أخرى فحسب، بل باعتبارهم أفراد ينتمون إلى "عرق" مختلف. وبهذا بات من الصعب عليهم أكثر فأكثر، تجنُّب الكراهية المعادية للسامية، سواءً من خلال الاندماج الاجتماعي أم التحول الديني. وفي العصر الحديث، جرى ربط اليهود بظواهر عالمية مختلفة يُنظر إليها باعتبارها سلبية، مثل الرأسمالية أو الشيوعية. وقد جمعت أسطورة "المؤامرة اليهودية العالمية" بين هذه السمات المتناقضة في بعض الأحيان: حيث بدا "اليهود" كقوة سرية مُجسَّدة تُنسَب إليها كل شرور العالم الحديث. ولذلك فإن سرديات المؤامرة ومعاداة السامية غير قابلتين للفصل تاريخيًا أو حاليًا.

ظاهرتان، وبناء واحد، ووظائف مشتركة

ولكن لماذا ترتبط هاتان الظاهرتان بهذا القدر من التداخل ويستمران حتى اليوم بهذه القوة؟ أحد الأسباب يكمن في بنيتهما المتشابهة. فكل من سرديات المؤامرة ومعاداة السامية تستندان إلى أنماط تفسير ثنائية وبسيطة: إذ يُقسَّم العالم إلى نموذج خير–شر، وتختفي التناقضات والتعقيدات. تبحث سرديات المؤامرة عن إجابة مُشخّصة للسؤال "مَنْ؟" — أي عن مسؤولين واضحين، وعن محرّكين خفيين للخيوط خلف الستار ومستفيدين. ونتيجة لذلك، تُسقَط التطورات الاجتماعية التي يُنظر إليها بوصفها سلبية على مجموعة يُزعم أنها مذنبة. وقد جعلت معاداة السامية اليهود واليهوديات هدفًا دائمًا لهذا الإسقاط. إن بنية سرديات المؤامرة وجذورها التاريخية تجعلها معادية للسامية من الناحية الهيكلية: فحتى إذا لم تُذكَر أي شخصية يهودية بالاسم، كثيرًا ما تُستخدم كلمات رمزية مثل "النخبة"، أو "القوى المالية"، أو "العالميون". و حتى من دون اتهام صريح، تبقى سرديات المؤامرة قابلة دائمًا لتأويلات معادية للسامية — مما يجعل انتشارها خطرًا حقيقيًا على اليهود.

تُستخدم كلمة "Globalismus/العولميَّة" كثيرًا لدى اليمينيين المتطرفين بدلًا من "Globalisierung/العولمة" وذلك لإظهار رفضهم لها، بزعم أن التحالفات الدولية تُضعف وحدات "طبيعية" مثل الأمم والشعوب والثقافات. ويرتبط بـ "Globalismus/العولميَّة" الادعاء بوجود نخبة تعمل دوليًا تتحكم في كل جوانب الشبكات الدولية وتستفيد منه. وبالتالي فالمُشار إليهم بـ "Globalisten/دعاة العولميَّة" هم اليهود.

تؤدي التفسيرات المعادية للسامية وتلك التآمرية أيضًا وظائف "إيجابية" نفسيًا وعاطفيًا وعلى صعيد بناء الهوية. فعلى المستوى النفسي، تعوِّض سرديات المؤامرة مشاعر فقدان السيطرة والعجز وعدم اليقين. وهي تساعد الناس على تفسير التطورات الاجتماعية المعقدة بطريقة مبسطة. فبدلاً من تحمُّل التناقضات أو عدم اليقين، تُنشأ صور واضحة للعدو تمنح اتجاهًا للفعل: فمَنْ يحدِّد "المحرّك الخفي" مرة واحدة، لا يشعر بعد ذلك بالعجز.

علاوة على ذلك، يُقدِّم الإيمان بالمؤامرة ومعاداة السامية خيار هوية حصريًا وجذابًا. إذ يرى الأتباع أنفسهم جزءًا من أقلية مستنيرة تعرف "الحقيقة". وبالإضافة إلى ذلك، يقفون -في إطار رؤية ثنائية للعالم- إلى جانب "الخير"، لأنهم يميّزون أنفسهم عن "الشر" أو "التهديد الخفي". وكثيرًا ما يُفهم هذا (لا سيما في معاداة السامية) بوصفه شعورًا قويًا بالانتماء إلى شعب. وهكذا يصبح الشعب جماعة متجانسة ذات مصير واحد وجماعة ذات هوية موحدة. ويقوم هذا التصور على افتراض أن الأشخاص يمتلكون قواسم مشتركة ثابتة لمجرد انتمائهم إلى مجموعة معينة. وبهذا تُصوَّر المجموعة الخاصة بأنها خالية من التناقضات، ويمكن لأفرادها أن يندمجوا تمامًا في المجتمع. لكن هذا يعني أيضًا أنه لا يجوز لأحد الاعتراض، ولا مكان لاهتمامات مخالفة تخص الأقليات. وينتج عن ذلك ديناميكية مناهضة للديمقراطية: فمَن يرى نفسه على حقّ وفي جانب الخير، ويعتبر الآخرين "مُستغلين" أو جزءًا من مؤامرة، لا يمكنه إلا رفض ركائز الديمقراطية الأساسية، مثل تنوع الآراء والتسويات السياسية. وهذا يُضفي الشرعية على العنف السياسي بوصفه "دفاعًا عن النفس" مزعومًا، عندما يتم تحويل الخصم السياسي إلى عدو بمجرد التفكير في فئات متطرفة.

الاقتصاد في أوقات الأزمات

وبناءً على ذلك، تتشارك أيديولوجيات المؤامرة ومعاداة السامية في رفض قاطع للحداثة، كما تتجلّى في مجتمعات ديمقراطية ومتنوعة. ولأنهم أنفسهم يتوقون إلى عودة ما يسمّى "النظام الطبيعي"، الذي تمتلك فيه الجماعات مواقع واضحة وثابتة لا تتغير، فإن المعادين للسامية والمؤمنين بنظريات المؤامرة يرون تطورات التحرر الاجتماعي تهديدًا. وفي الوقت نفسه، تتغيّر المجتمعات الحديثة -من منظور موضوعي- بوتيرة أسرع وتزداد تعقيدًا باستمرار. ومن هنا تنشأ فرص عديدة لمعالجة الظواهر العصية على الفهم عبر "تفسيرات بسيطة" من النوع الذي تقدّمه سرديات المؤامرة. غير أن الإيمان المنتظم بهذه السرديات، وتطوّر عقلية المؤامرة، لا يحدثان مصادفة، بل يرتبطان بأنماط ترسّخَت سلفًا — وهي مع ذلك واسعة الانتشار. وقد بيّنت ما تُسمَّى بدراسة الوسط السياسي "Mitte-Studie"، التي تبحث في المواقف اليمينية المتطرفة داخل المجتمع الألماني، أنه في عامَي 2022/23، كان 38% من المشاركين يميلون إلى الإيمان بالمؤامرة — وأن هذه النسبة في ازدياد.

تنشأ أيديولوجيات المؤامرة في الغالب كردّ فعل على شعور فقدان السيطرة. وبذلك يمكن امتصاص مشاعر العجز وعدم اليقين والخوف. كما يمكن تصنيف الأحداث المعقدة أو المهدِّدة من خلال هذه السرديات، ودمجها في رؤية مغلقة للعالم. لذلك تبرز أيديولوجيات المؤامرة على نحو خاص في أوقات الأزمات العالمية والتطورات ذات التأثير الواسع. ومن الأمثلة على ذلك هجمات 11 سبتمبر/أيلول 2001 الإرهابية أو جائحة كورونا. وقد أظهرت الجائحة على وجه الخصوص، مرة أخرى، مدى الارتباط الوثيق بين سرديات المؤامرة والتصورات المعادية للسامية. فكثير

من الأشخاص الذين أنكروا وجود كورونا، ارتدَوا في المظاهرات "نجمة داود" التي كانت تُستخدم في الحقبة النازية لتمييز اليهود قسرًا، وذلك من أجل تقديم أنفسهم في صورة الضحايا. وهذا تسخيف للمحرقة التي قُتل فيها 6 ملايين يهودي ومئات الآلاف من الأشخاص الآخرين. ومثال آخر هو ادعاء الرئيس المجري فيكتور أوربان أن كورونا قد جرى تمويله كسلاح بيولوجي من جانب الملياردير اليهودي جورج سوروس.

وهكذا تُعدّ العلاقة بين معاداة السامية وسرديات المؤامرة في الوقت الحاضر غير قابلة للإنكار. ولأنهما ظاهرتان معاديتان للديمقراطية ولا يمكن فصلهما إحداهما عن الأخرى، فيجب كذلك مكافحتهما معًا. ويتطلب ذلك ليس فقط معرفة حجم خطورتهما، بل أيضًا فهم ما يجعلهما جذابتين لأتباعهما.

مزيد من النصوص بلغات إضافية حول موضوع معاداة السامية

يمكنك العثور على جميع الموضوعات الأخرى المتعلقة بسلسلة الفعاليات والمنشورات على موقعنا:

www.dgb-bwt.de/wissen-fuer-alle

جميع النصوص متوفّرة **باللغات التالية:** العربية، والدارية، والألمانية، والإنجليزية، والفرنسية، والبولندية، والروسية، والإسبانية، والفيتنامية.

V.i.S.d.P.: Renate Sternatz, c/o DGB-Bildungswerk Thüringen e.V., Schillerstraße 44, 99096 Erfurt

In Trägerschaft des:
DGB-Bildungswerk Thüringen e.V.

Im Rahmen des Bundesprogramms:
Initiative betriebliche Demokratiekompetenz

Gefördert durch das:
Bundesministerium für Arbeit und Soziales

Administriert durch das:
Bundesamt für Migration und Flüchtlinge

Oktober 2025

CONNECT